

هل الانسان اكبر من الحرب. أم الحرب أكبر من الانسان  
هل يجب على الإنسان أن يموت من أجل القضية، أو يحيا ليحقق أهداف القضية  
!!!!!! لماذا على الانسان الموت لكي يحقق أهداف القضية؟؟؟؟

في البدا كانت الحرب، أم كان السلام

حرب وسلام، أم سلام وحرب

/فكرة القتل، الجريمة، كما أخبرتنا الكتب السماوية، عن قصة أول جريمة قتل/في تاريخ البشرية

قاييل ابن آدم يقتل أخوه هابيل،،،، هابيل جثة هامدة، روت دماءه تراب الارض،،،،، حزن قاييل كان كبيرا، ندم قاييل كان مؤلما، لكن حزنه وندمه، لم يرجع الزمن ، ويحول دون إرتكاب الجريمة، وتقول الكتب السماوية، انه لم يعرف القاتل قاييل، كيف يتعامل مع جثة أخيه ، بعد موته، حتى رأى طائر الغراب، وتعلم من الطائر، الغراب، كيف يدفن الجثة ويواربها الثرى.يدفنها تحت التراب ،فكرة القتل، فكرة مجنونة ، قاسية، سوداوية، تتعارض مع فطرة الانسان، التي تميل إلى الخير، وفكرة القتل ، وفكرة الحرب، دائما قبيحة، دمار ، موت، عذاب، فقد، لا تتوافق ايضا مع تكوين المرأة، ومع أنوثتها الناعمة

المرأة، جمال، حياة، خصب، أمان، استقرار، عطاء،،،، هنا نستطيع أن ندرك مقدار معاناة المرأة أثناء الحرب

،لتاريخنا البشري،باع طويل في الحروب، منذ بدأ الخليقة، كان هناك صراعات، وحروب

عند اندلاع الحرب العالمية الاولى ١٩١٤\_ ١٩١٨، ولا استطيع العبور هنا، إلا بذكر، أهم أسبابها المباشرة، وهو إغتيا لولي العهد في النمسا مع زوجته، والفاعل، طالب من دولة صربيا، في ٢٨ حزيران/ ١٩١٤

ومن ثم هدوء نسبي، لنبدا الحرب العالمية الثانية، ١٩٣٩/حتى ١٩٤٥ ميلادي

اذكر هنا الحربين الأولى والثانية، لانهما بالنسبة لي، على الاقل، يحملون من القسوة والعنف، نفس المقدار، بقسوة وعنف ما يدور في بلدي سوريا، منذ عام ٢٠١١ حتى الآن

الحرب حرب

القتل قتل

الدم دم

سواء كانت ، حرب اقليمية، أو حرب دولية، أو حرب أهلية

ومعاناة المرأة في تلك الصراعات واحدة، للأسف

فما حصل، ويحصل في سوريا، ومن خلال احصاءات، وعمليات توثيق، أجريت من خلال مرصد دولية، ومحلية، عربية، وغربية، تم توثيق أرقام مرعبة، لعمليات اغتصاب، واختفاء قسري، وموت تحت التعذيب

،كان للنساء نصيب كبير من ذلك، فقدت المرأة السورية، ابسط مقومات الحياة، وهنا تستحضرني قصة معروفة في كل الاوساط السورية يحكيها، سياسي سوري معارض، وهو سياسي معروف، كان في السجن، وطلب منه سجانه، ان يروي قصة لطفل في السجن، وعلى وجه الدقة، السجن تحدى السياسي ، بأنه لا يستطيع، وبدأ السياسي السجن، يروي قصة للطفل، ذو الخمس سنوات تقريبا، ويقول كان وجهه شاحبا، لونه اصفر، لقلة تعرضه لأشعة الشمس، وبدأ كلامه، محاولا مداعبة خيال الطفل، قال: كان هناك عصفور، هنا قاطعه وجهه شاحبا، لونه اصفر، لقلته تعرضه لأشعة الشمس، وبدأ كلامه، محاولا مداعبة خيال الطفل، قال: كان هناك عصفور، هنا قاطعه وجهه شاحبا، لونه اصفر، لقلته تعرضه لأشعة الشمس، وبدأ كلامه، محاولا مداعبة خيال الطفل، قال: كان هناك عصفور، هنا قاطعه وجهه شاحبا، لونه اصفر، لقلته تعرضه لأشعة الشمس، وبدأ كلامه، محاولا مداعبة خيال الطفل، قال: كان هناك عصفور، هنا قاطعه

الطفل، وسأله، ماذا يعني عصفور؟

!!!!!! استرسل في الكلام، وقال يطير على الشجرة، ايضا هنا قاطعه الطفل، وسأله:ماذا يعني شجرة  
هنا أدرك السياسي ، ان الطفل لم يخرج ابدا ، خارج أسوار السجن، لا يعرف ولم يرى سوى سوى السجن، وأمه التي انجبتة في السجن، من نظفة سجانها، كانت امه معتقلة، وكان عمرها ٢٢ سنة، وتعرضت للاغتصاب في السجن،

،هذه القصة تحكي باختصار ما جرى في سوريا

،سوريا، دمشق، أقدم مدينة مأهولة بالسكان، على مستوى العالم، مع تاريخ غير منقطع منذ أحد عشر ألف عام تقريبا، سوريا ، الشرق سوريا التسامح الديني، سوريا كنسية المشرق، سوريا الجامع الأموي، سوريا الحضارة، التاريخ ، الثقافة، الشعر، الادب، سوريا بصرى الشام، وجامع بني أمية الكبير، الذي كان منقسم بين المسلمين والمسيحيين لتأدية عباداتهم منذ فتح الشام، وبحكم ان جدتي لأمي كانت مسيحية، وكانت تروي لنا الكثير من الحكايات والقصص، كانت تقرأ باللغتين العربية والفرنسية، لا أنسى بهجتها وفرحها، عندما زار البابا يوحنا بولص الثاني،سوريا، وكان أول بابا، في التاريخ تطأ قدماه مسجد، عندما دخل الجامع الأموي في دمشق ، أثناء زيارته ،التاريخية لسوريا، لإقتفاء أثر القديس بولص ،

هذه سوريا الحب والتسامح ، كيف استطاع العالم بأثره، ان يراها تدمر ، وتنشوء، وتغتصب، ويبقى صامتا

وإن خرج عن صمته ، كان كلامه غير مجدي

شرق وغرب

بقي صامتا

رغم أن شرق العالم، انجب لنا الفيلسوف العربي، ابن رشد، الذي احتفى به الغرب، رأى كثيرون أن مؤلفاته ، كانت إحدى روافد نهضته العقلية

وغربه، الذي انجب للعالم كله، الفيلسوف ايمانويل كانط،،،، علينا جميعا أن نقدم اعتذارنا، لجهودهم الجبارة ، لأننا لم نقدرها، ولم نطبقها

عذرا كانط، لم نطبق مشروعه العظيم عن السلم،،،،حين قلت:١)المعاهدة القبلية هي النية المسبقة والرغبة في تحقيق السلام، ولكي لا يتحول مشروع السلم الى هدنة مؤقتة، مما يعني إستراحة للتسليم من جديد

٢) كل دولة تكيفها كانت، لا يجب أن تُملك من طرف دولة أخرى

٣) من شروط تحقيق السلام الدائم إلغاء الجيوش. ( هنا اعتذر وبشدة كانط)

٤) لا يجب لأي دولة أن تقترض ديوناً من أجل المنازعات الخارجية

٥) لا يجوز لأي دولة أن تتدخل في نظام دولة أخرى، أو في طريقة حكمها.، روسيا وإيران في سوريا، مثال

٦) في حالة الحرب، لا يجوز لدولة أن تقوم بأفعالك ضد دولة أخرى من شأنها السبب بفقدان الثقة في حالة العودة إلى السلم

وهنا ندرك صعوبة التحقيق، رغم أنها مقنعة، وذلك راجع أن الحكومات ترفض الالتزام بما يتعارض مع مصالحها، لكن اليوم يتم تعويض ذلك، بمؤسسات المجتمع المدني، من خلال مبادراتها إلى طرح ما يمكن مناقشته في المجال العالمي، والضغط على الحكومات لتحقيق توازن عالمي يلتزم بمبادئ الحق الدولي

الحرب، الحق، السلام، مجريات خصبية وتكاثف أحداث، تعتبر صيد ثمين في المجال الأدبي، والحرب تحديداً، قدرة على استدعاء السرد الأدبي وإغناء مخيلة الكاتب، وهنا يحضرنى أشهر الروايات التي تناولت موضوع الحرب، رواية الحرب والسلام للأديب الروسي تولوستوي، وكيف استطعنا من خلال قراءة الرواية، معرفة وجدانية المجتمع الروسي، في فترة الغزو النابليوني، الشعر والكتابة عموماً . آخر سبيل نحو الانهزام النبيل

ربما يبدو الهدف الظاهري لكل الحروب والثورات، هو الحرية والتحرر من سلطة الديكتاتورية، مع الأخذ بعين الاعتبار الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسلوك المجتمعي

لم يكن البشر يدركون قسوة الحروب، إلا بعد الخوض فيها. فبعد نهاية الحرب العالمية الأولى ظهرت دول جديدة، غير التي كانت معروفة قبل اندلاع الحرب. وكذلك الحال بعد الحرب العالمية الثانية، التي وضعت العالم بأسره بين فكي قوتين، مطرقة الشيوعية وكرجاج الرأسمالية الناعم

لكن بعد تجربة الحربين الفاسيتين أدرك الإنسان الحديث مؤخراً، أنه ليس سوى مطية وأن الحرية ليست سوى أكلوبة يتم تدويرها بالشكل الذي تقتضيه حب النفوذ والسيطرة

عشتُ في سجن، أو لنقل سجن كبير، كانت ظروف سجنى مقبولة حينها، لم أفكر بتحسينها، أو لربما لم أكن أعتبره سجنًا بمعنى السجن المعروف في أدبيات السلطة

إن أصعب ما يمكن أن يتمناها السجين هو الحرية، بعدما يدرك أنه في سجن وأنا فاتورة حريته تقتضي هدم جدران السجن، الحرية تلمع من بعيد وبيصر السجين حينها قيمة النور في عتمة الزنزانة

كانت أوروبا تلمع، كأسوار عروس وهي على ظهر فرس في انتظار أمير يخطفها

عندما وصلتُ إلى أوروبا بعد رحلة خوف طويلة، خوف على حياتي وحياة عائلتي وأطفالي الصغار، خوف على ما تبقى مني حياً بعد محاولة الهروب من السجن، الذي اختبرته حياته جيداً، كنت أعرف رقم الشارع الذي أسكنه وأعرف أسماء الجيران وإذا ما بكيت، سمعتُ: مواسة كل الجيران لي وكأنهم يقولون

نحن سجناء أحرار، في الخارج يحسدوننا على نعم الراحة، هنا لا نفكر بأحد ولا أحد يفكر بنا

في أوروبا لم أعرف الجدران، لا جدران السجن ولا جدران الغزف ولا الفنادق، إن السجون المظلمة هي سجون بلا جدران، سجون بلا سجان، سجون بدون مواعيد للزيارات، بدون لباس موحد للسجناء

صار جل ما أتمناه، هو تكون لي غرفة وسرير وصندوق بريد للرسائل، رسائل تأتيني من الأصدقاء في أعياد الميلاد، رسائل من أمي المريضة في سوريا، رسالة تعزية بعد وفاة والدي

صرتُ هنا سجنًا كبيراً، صرت أحبس كل ذاكرتي وذكراياتي وأنا أحلم بببيت، أحلم بتخيل الحرية، أحلم بدفء السجن هناك، أحلم لو لم أتحرق من ذاك السجن

لكن هل يتحرر الإنسان من ذاكرته؟

مادمت أرى نفسي إنساناً، فسأبقى سجيناً نفسي أينما كنت

يتبع